

تراكيبُ الخلق والتكوين في نهج البلاغة: خلق آدم اختياراً

سلامة سلام علي عبد الفتاح الحاج فرهود

كلية العلوم الإسلامية / جامعة بابل

assy71_2009@yahoo.com d.alifattah@gmail.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام: 2018 / 5 / 7
تاريخ قبول النشر: 2018 / 5 / 14
تاريخ النشر: 2020 / 2 / 10

الخلاصة:

يشعرُ الباحثان - بعدَ دراسةٍ موضوع (الخلق والتكوين) - أنَّ هذا البحثَ لم يأخذ كفايته في الدراسات الدلالية للكشف عن الكثير من الجوانب المخفية للتركيب بعامة، والكلمة المفردة بخاصة إذ لهما من الأثرِ الفعّال ما لهما في استكناه المعنى العميق عن البنية السطحية.

ولا جرم أنَّ نهج البلاغة قد ضمَّ من النصوصِ البليغةِ العاليةِ جدًّا؛ لأنه من حديث الإمام عليٍّ (عليه السلام) وهو القائل: ((وإنَّ لأمرأ الكلام، وفيها تشبُّت عروقه، وعليها تهدَّلت غصونه))؛ فنهج البلاغة - إذاً - من المرويات الإسلامية التي لا يمكن إغفالها دراسةً وتحليلًا لغويًّا ودلاليًّا؛ لأنه مصدرٌ مهمٌّ من المصادرِ الرئيسةِ الموضحةِ للنصِّ الرئيس (القرآن الكريم) بعد الحديث الشريف للنبيِّ محمدٍ (صلى الله عليه وآله).

إنَّ أولية نهج البلاغة وفصاحته جعلتا من أرباب المعجمات يقيدون منه بوصفه مادةً لشواهدهم التي أوردوها في معجماتهم كابن منظور (ت/711هـ) الذي اعتمد عليه في بناء ألفاظ اللغة. ويأتي مجموع ما استعمله بما يقربُ من (900) تسعمئة استعمالٍ يَقلُّ أو يَزيدُ عليه. وكذلك معجمُ الصحاح للجوهري (ت/393هـ) بنسبةٍ أقلَّ مما في اللسان، فضلًا عن الموارد النحوية لبعض من نصوص نهج البلاغة في كتاب الكافية لابن الحاجب، والدراسات الحديثة الأكاديمية، والدينية اللغوية، والأدبية، والفلسفية، والتربوية، والاقتصادية، والإدارية، والمنطقية، والعلمية الصَّرفة التي قامت على نهج البلاغة.

الكلمات الدالة: تراكيب، الخلق، التكوين، نهج البلاغة، خلق، آدم، اختياراً

The Structures of Creation and Formation in (Nahj Al-Balagha): A'adam Creation

Salami Salam Ali Abdul-Fattah Al-Haj Farhoud
College of Islamic Sciences / University of Babylon

Abstract

The researcher, after studying the subject of creation, feels that this research did not take enough in the semantic studies to uncover many hidden aspects of the meaning of the word, its effective role in shedding light on its meaning of interpretation.

After her obvious effort in her painstaking journey, the researcher concluded that the approach of Balajah is one of the important linguistic sources that can not be overlooked.

It is an inexhaustible source and an important source of the sources mentioned in the Holy Quran. This is the son of a perspective based on the construction of the words of the language and the total use of nearly nine hundred uses less or more, as well as the Dictionary of the Sahih, which was previously lexicon of the tongue used steadily in many of its resources, and this shows how important this linguistic code, The most important results are:

- 1 - approach Balagha This huge blog topics did not detail that detail imagined by the reader of the status of creation, but offered some of the speeches implicitly, because the subject of the approach is the sublimation of man and the creation of the mind only,
- 2 - The words of creation that relate to Adam will not add anything much, but are preserved in the deep sense of the Koranic perception.
- 3 - The majority of the words creation of Adam, which is mentioned in the article Nahj Balagha is the same in the Holy Quran (cradle, grief, the first mount) and other words
- 4- The word creation is near the conventional linguistic meaning in the context of the text in the approach, and counted the owners of the code of language as well as analogues and isotopes, it is

- synonymous words, and the total synonyms of one of the modern researchers to twenty-two synonyms.
- 5 - either the word of the universe is a synonyms of the word creation, and in its linguistic meaning is close to the material of creation as it indicates the events of the thing and be.
 - 6 - There is an interest in the linguists in the nature of creation, perhaps due to the religious concern that lies in the creation and composition, as well as the visual and mythological perceptions that deepened this feeling, and so many of them studied, but his presence in the approach of rhetoric took the nature of reflection and insight And religious pilgrims to convince the recipient of the greatness of the Creator, that is to take the nature of the response to those who questioned the nature of creation or tried to reach the universe of creation and the unity of creation and formation, and this is what we notice in the speech of ghosts.
 - 7 - The number of words that indicate the creation of Adam is ten words.

Key world: Structures , Creation, Formation, Nahj Al-Balagha (A'adam created).

المقدمة:

لا يخفى على متبصر أن الله تعالى خلق الإنسان، وكوّنه من أجل عمارة الأرض وتوالد الخلق وتناسلهم، والاستشراف الأهم من هذا الخلق عبادة الله تعالى، والشكر له عن نعمته الأولى (الخلق)، والأخرى (التكوين) من تقديره الإنسان بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، وإيداعه هذا التقدير، وجعله أرقى الكائنات إبداعاً، بل سيدها؛ لهذا وجب على العباد وعلى رأسهم الإنسان الشكر لله تعالى عن جميل الخلق، والتكوين بعبادته⁽¹⁾ تصديقاً لقوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات/56].

وحقيقة العبادة في هذه الآية الكريمة تحمل تأويلات عديدة قوامها ((ليطيعوني، وهذا أمر خاص لأهل طاعته. ويُقال: لو خلقهم للعبادة ما عصوا ربهم طرفة عين. وقال علي بن أبي طالب (عليه السلام): ما خلقهم إلّا أنأمرهم وكلفهم. ويُقال: وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون إلّا أمرتهم أن يؤحدوني ويعبدوني))⁽²⁾. وقيل: ((إلّا ليعرفوني. وهذا قول حسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده. وقيل: معناه إلّا ليخضعوا لي، ويتذلّلوا؛ لأن معنى العبادة في اللغة التذلّل والانقياد. وكل مخلوق من الجنّ والإنس خاضع لقضاء الله، مُتَذَلِّلٌ للمشئّة، لا يملك أحد لنفسه خروجاً لما خلق له))⁽³⁾.

فالعبادة هي الحقيقة الكبرى، والآية الواضحة التي من أجلها أرسل الإنسان للأرض. فهو مقام تشرّيف له؛ ليتساوى فيها عظم خلق الإنسان الذي يُحكّم عقله وخبراته في استخراج مكنونات الأرض، واستثمارها، واستعمارها. وهنا يصحّ مقام التشرّيف من حقيقة الإرسال والعبادة.

وإنّ مدلول العبادة لا بُدَّ أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر؛ فالجنّ والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر. والله تعالى لا يكلفهم هذا، وهو يكلفهم ألواناً أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم. ونحن لا نعرف ألوان النشاط التي يكلفها الجنّ، لكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان. نعرفها من القرآن الكريم من قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة: 30]؛ فهي الخلافة في الأرض. إذاً؛ إنّ عمل الإنسان، وتعرّف قواه، وطاقاته، وذخائره، وذخيرته، ومكنوناته، وتحقّق إرادة الله في استعمالها، وتنميتها، وترقية الحياة فيها من لوازم استكمال التقصي المنطقي لاستكناه دورة حياة الإنسان العبادية لله تعالى، والاستعمارية المثلى للأرض.

وتقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض؛ لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق والقاموس

الكوني العام⁽⁴⁾.

حقيقة الخلق والتكوين:

لقد بين الله تعالى حقيقة الخلق والتكوين، أو الإنشاء والجعل بقوله: (وإلى نوحه أخاه صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ثم توبوا إليه إن مني قريبٌ مجيبٌ) [هود/ 61]، وقال عز من قائل: (قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبباً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به نباتاً من نبات شتى، كلوا وامرئوا أنعامكم إن في ذلك لآياتٍ لأولي الألباب) [طه 25-55].

فحقيقة الخلق لا تتمثل في العبادة وحدها؛ لأنَّ العبادة استقرارٌ نواميس الإيمان في القلب. وهذا الاستقرار لا يتحقق إلا في ضوء الآيات والشواهد التي يطلع عليها الإنسان؛ لذا جعل الله تعالى العبودية مقترنة بالشواهد، ثم جعل حقيقة الخلق في الأرض أن جعل الإنسان خليفة. والخلافة هنا تتميز بأنها مقام الشرف والمكانة السامية، ثم مهد لهذا المستخلف، ولهؤلاء الخلفاء (الناس) السبل في الأرض؛ ليتسنى لهم العيش واستخراج مكنونات الأرض، وبين لهم طرائق معيشتهم. وكل ذلك لا يتم إلا في ضوء العقيدة الرصينة التي يرتفع بها الإنسان إلى درجات السموات.

صفة خلق آدم (عليه السلام):

من هذه الحقيقة الجلية للخلق أتحننا أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) بما بينه من حقيقة صفة خلق آدم (عليه السلام) بقوله:

((ثم جمع سبحانه من حزن الأرض، وسهله، وعذبه، وسبخها تربةً سنّها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت؛ فجبل منها صورة ذات أحناء، ووصول، وأعضاء، وفصول أجملها حتى استمكنت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقت معدود، وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه؛ فتمثلت إنساناً ذا أذهان يُجبلها، وفكر يتصرف بها، وجوارح يختتمها، وأدوات يُقلبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والأذواق، والمشام، والألوان، والأجناس معجونا بطينة الألوان المختلفة، والأشياء المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاق المتباينة من الحر، والبرد، والبلّة، والجمود، والمساءة، والسرور، واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيته إليهم في الإذعان بالسجود له، والخنوع لتكريمته؛ فقال سبحانه لهم: ((اسجدوا لآدم))؛ فسجدوا إلا إبليس وقبيله اعترته الحمية، وغلبت عليه الشقوة، وتعزز بخلق النار، واستوهن خلق الصلصال؛ فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبلية، وإنجازاً للعدة؛ فقال: ((فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم))⁽⁵⁾، وقال (عليه السلام): ((فلما مهد أرضه، وأنفذ أمره اختار آدم (عليه السلام) خيرة من خلقه، وجعله أول جبلته))⁽⁶⁾.

لقد بين الإمام علي (عليه السلام) أنَّ خلق آدم (عليه السلام) كان من مقامات التشريف له، ليس له وحده، وإنما لبني جنسه كلهم، وبين أنَّ الخلق من التراب، ثم بين مدارج الخلق، واختلافه. وأكد أنَّه كان لحكمة وغاية؛ لأنَّ الخلق مختلفون في الوجود والماهية، وكذلك في تفكيرهم ومصالحهم ((ولعل ذلك هو السر في تفاوت أنواع الخلق؛ لاستناده إلى اختلاف المواد))⁽⁷⁾.

وقد ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) هذا المضمون عن الخلق إذ قال: ((إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض؛ فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبث، والطيب))⁽⁸⁾.

ونلاحظ ما لدلالة الكلمة من أثر في تسليط الضوء على معناها التأويلي في كشف الإنشاء والخلق على نحو الإبداع في ضوء تبيين محاور الخلق، والتكوين الآتية:

أولاً/حزن الأرض. الحزن في اللغة ما فيه خشونة. والأنثى حزنة. وقد حزن حزونة إذا خشن خشونة، أي المكان الغليظ. وكانت العرب تقول: من تربح الحزن، وتشتي الصمان، وتقيط الشرف فقد أخصب. والحزن الآخر ما بين زباله فما فوق ذلك مُصعداً في بلاد نجد. وفيه غلظ وارتفاع. يقول أبو عمرو بن العلاء: الحزن والحزم: الغليظ من الأرض. وقال ابن شميل: أول حزن الأرض قفافها وجبالها وقواقيها وخشنها ورطنتها، ولا تعد أرض طيبة وإن جلدت حزن. وجمعها حزون⁽⁹⁾.

وقد جاء استعمال (الحزن) في النهج بمعنى ما غلظ من الأرض في قول الإمام علي (عليه السلام). إن سياق هذا النص يدل على أن آدم (عليه السلام) قد خلق مما غلظ أو خشن من أديم الأرض كما أنه كان مما سهل ولان منه، وأن هذه القبضة قد أخذها الله تعالى من حزن الأرض، أو من قفافها، وجبالها، وقواضيها. وهذه المواقع تكون تربة الأرض فيها غليظة خشنة.

ثانياً/تربة سنها بالماء: سنّ عليه الماء صبّه عليه صباً سهلاً. وسننت الماء على وجهي: أرسلته إرسالاً من غير تفريق، فإذا فرقته بالصب قلت: سننت بـ (الشين) المعجمة. وفي حديث ابن عمر: ((كان يسن الماء على وجهه، ولا يشنه)). وكذلك سنّ التراب: إذا صبّه على وجه الأرض صباً سهلاً. وسننت التراب: صببته على وجه الأرض صباً سهلاً حتى صار كالمسناة. وسنّ عليه الدرع يسئها سناً إذا صبها عليه⁽¹⁰⁾.

وقد ورد في نهج البلاغة بمعنى صبها أو خلطها قوله (عليه السلام): ((تربة سنها بالماء حتى خلصت ولطها بالبلّة حتى لزبت))⁽¹¹⁾؛ فسياق النصّ تكملة للنصّ السابق المبين أن الله تعالى قد أخذ قبضة من الأرض ليخلق منها آدم وأبناءه فجعلها تختلط أو تبل بالماء من أجل أن تكون الأعضاء المشاهدة والمحسوسة من الإنسان، أو تكون تكملة الصورة التي عليها الإنسان.

يقول قطب الدين الراوندي (ت573هـ): إن المقصود من سياق القول أن الله تعالى خلط التربة بالماء خلطاً شديداً حتى صبها. ويقال: سنّ الدرع يسئها إذا صبها. وسننت الماء على وجهي إذا أرسلته إرسالاً من غير تفريق. قال تعالى: (من حكيم مسنون) [الحجر/26] أي خلطها بالماء حتى خلصت لما سواها من الأقداء⁽¹²⁾.

وقوله: (خلطها خلطاً شديداً) يتلاءم وطبيعة المدلول اللغوي؛ فقوله: (صبّه) يدل على إرسال الماء إرسالاً شديداً. وهذا يُعطي صورة للمتلقى تفصح عن أن الله تعالى سنّ هذه التربة بالماء سناً شديداً؛ فكأنها أخذت من أماكن مرتفعة (حزنة) وخشنة. وهنا لابد من الماء كي يخلصها مما علق بها من أقداء هذه الأماكن حتى يتسنى له الخلق والتكوين.

ثالثاً/نفخ: النفخ معروف. تقول: نفخه فانفخ، ونفخ فيه ينفخ نفخاً إذا أخرج منه الريح. ويكون هذا في الاستراحة والمعالجة ونحوهما. ونفخ النار نفخاً ونفياً. والنفخة انتفاخ البطن من الطعام ونحوه. ومنه استعير (انتفخ النهار) وهو الوقت قبل الانتصاف بساعة. وانتفخ الشيء. والنفخ ارتفاع الضحى. وقولهم: (وأنا في نفخة الربيع) كناية عن المجيء حين يعشب الزرع، وتخصب الحيوانات. وروي في حديث المستضعفين بمكة (فنفتحت بهم الطريق) أي (رمت بهم بغتة) من نفخت الريح إذا جاءت بغتة. وفي حديث عن الرسول (صلى الله عليه وآله) أنه نهى عن النفخ في الطعام والشراب حفظاً له من أن يقع فيه من ريق النافخ ما يشربه غيره فيتأذى به⁽¹³⁾. والنفخ خروج الهواء من الفم نحو قول الشاعر⁽¹⁴⁾:

لَوْلَا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ تَفْتَحْ فُهْنُكُمْ وَلَا خُرَاسَانُ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ
ومن موارد النفخ قوله تعالى: (وَمَرْسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبَشِّرُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكَيْدًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران / 49] أي أنفخ فيه الروح وهو جسم رقيق
كالريح. وهو غير الحياة؛ لأنَّ الجسم إنما يحيا بما يفعله الله تعالى فيه من الحياة فالأجسام كلها متمثلةة يحيي
الله منها ما يشاء. وإنما قيد قوله: (فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ)، ولم يقيد قوله: (أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ
الطَّيْرِ) بذكر (إِذْنِ اللَّهِ تعالى) لينبئة بذكر الإذن هذا أنه من فعل الله تعالى دون عيسى (عليه السلام). أما
التصويرُ والنفخُ ففعله (عليه السلام)؛ لأنه مما يدخل تحت مقدورِ القدر⁽¹⁵⁾.
وبهذا المعنى جاء قول القطامي⁽¹⁶⁾:

أَلَمْ يُخْزِ التَّفَرُّقُ جُنْدَ كِسْرَى وَنَفَخُوا فِي مَدَائِنِهِمْ فَطَارُوا
نَفَخُوا أَي أخرجوا الهواء من أفواههم ليسلطوه على مدائنهم، وما إن خرج الهواء طاروا.
وجاء في قول الإمام (عليه السلام) بهذا المعنى ((ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ؛ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ
يُجْبِلُهَا))⁽¹⁷⁾.

النفخ في سياق النص يدل على الإحياء؛ فالله تعالى عندما سنَّ التراب، ولاطه بالماء نفخ في التربة
التي كونها من روحه لتستوي إنساناً ذا أحناء كاملة، وصورة متمثلةة لإنسان مبتدع.
والنفخ في هذا النص جاء على سبيل المجاز؛ لأنه من الله سبحانه وتعالى؛ فهو بمعنى الإحاطة
والإعطاء. ولما كان العلم إدراك الأشياء بوساطة الروح، وهذا العلم منسوب إلى الله تعالى؛ فنُسبت آتته إلى
ذاته بطريق المجاز، لأنَّ الروح أشرف الأشياء الموجودة في الإنسان⁽¹⁸⁾.
ويحتمل النفخ المدلول اللغوي وهو الانبعاث، أي أنَّ الله تعالى قد خلق آدم (عليه السلام)، فاستوى
بشرًا إلا أنَّ النفخ هو بعث الروح فيه بمعنى تكملة صورة ذات أحناء.
ويرى العلوي أنَّ النفخ يحتمل أمرين هما⁽¹⁹⁾:

- 1- الإحياء؛ فلا نفخ هناك أصلاً، ولا منفوخ فيه، وإنما هو صادرٌ على جهة التمثيل، وعبارة عما يحصل به
الإحياء، وهو خلق الروح في هذه التربة المركبة على هذه الكيفية.
 - 2- الإيقاظ؛ فيكون الإحياء حاصلًا عقب هذا النفخ، ويكون فيه سرٌّ ومصلحة استأثر الله بعلمها، ويكون
إيقاظ هذه الرسالة - وهي النفخ - كسائر الوسائط التي يفعلها الله تعالى.
- رابعاً/ ذا أذهان. (الذال، والهاء، والنون) أصل يدلُّ على القوة⁽²⁰⁾. يُقال: ما به ذهنٌ أي قوة. وقال أوس بن
حجر⁽²¹⁾:

أَنْوُءُ بَرَجِلَ بِهَا ذَهْنُهَا وَأَعْيَتْ بِهَا أُخْتُهَا الْغَابِرَةَ
وَالذَّهْنُ الْفِطْنَةُ لِلشَّيْءِ، وَالْحِفْظُ لَهُ.

إنَّ في قوله (عليه السلام): ((ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجْبِلُهَا، وَفَكَرَ يَتَصَرَّفُ بِهَا،
وَجَوَارِحُ يَخْتَدِمُهَا))⁽²²⁾.

دلالة على أنَّ الإنسان بعدما نفخ الله به من روحه أصبح صاحب عقل وقوة وذاكرة، فجعله يُدرك
الأمر الصالحة، والطالحة، ويُميز بينهما لنفعه في الدنيا التي خلق فيها، وليستطيع بها أن يكون خليفة في

تسخير الأرض التي سواها الله تعالى في بداية الأمر. وهذا دليل على مدى منزلة الإنسان التي خلق الله تعالى الأرض له أول الأمر، ثم خلق له - بعدما نفخ من روحه - العقل، والقوة، والحفظ، والذاكرة. وهذه من أعلى منازل التشريف للإنسان.

خامساً/ فكر. التفكير التأمل. والاسم الفكر والأفكار، والفكرة والفكر. ويقال: ليس في هذا الأمر فكر، أي ليس فيه حاجة. وقد يأتي بمعنى التردد تردد القلب في الشيء إذ يقال: تفكر إذا تردد قلبه معتبراً. والفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم. والتفكر جوالاً تلك القوة بحسب نظر العقل. وذلك للإنسان دون الحيوان. قال تعالى: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْبَيْتِ الَّذِي يُبْنَى لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَسَمَكُمْ بِإِنْ لَمْ يَرْزُقْكُمْ يَكُنْ لَكُمْ بَرَكَةٌ عَظِيمَةٌ) [البقرة/ 219 - 220]، ف قوله عز وجل: (لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) أي لكي تتفكروا. وهذه (اللام) هي (لام) الغرض. وفي هذا التركيب دلالة على أن الله تعالى أراد منهم التفكير سواء تفكروا أو لم يتفكروا. ويستعمل الفكر في المعاني بمعنى فرك الأمور، وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها⁽²³⁾.

وقوله (عليه السلام): ((ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفَكَّرَ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَحْتَدِمُهَا، وَأَدْوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةً يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ))⁽²⁴⁾ يُبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - بعد نفخ الروح في الإنسان - أودعه آلة التبصر، والتأمل، والتفكير؛ فصار إنساناً كاملاً مكَّنه الباري عز وجل من التفكير في الأمور، أي التأمل فيها عن فهم التبصر؛ ولهذا يستطيع إدراك الأمور في حياته، ودفع الضرر عن نفسه، ويكون صاحب حركات فكرية يتصرف بها في أمور معاشه، وحياته اليومية. إذا هي القوة التي تمكنه من التفكير في الأمور، وتحليلها.

سادساً/ معجوناً. وهو لفظ على زنة (مفعول)؛ فهو اسم مفعول من الفعل الثلاثي (عَجَنَ - يَعْجِنُ). وفي اللغة (عَجَنَ الشَّيْءَ يَعْجِنُهُ عَجْنًا؛ فَهُوَ مَعْجُونٌ، وَعَجِينٌ. وَاعْتَجَنَهَا عَتَمَ عَلَيْهِ جَمْعُهُ. وَقَدْ عَجَنَتِ الْمَرْأَةُ تَعْجِنُ عَجْنًا، وَاعْتَجَنَتْ أَيْ اتَّخَذَتْ عَجِينًا. وَعَجَنَتِ النَّاقَةُ إِذَا ضَرَبَتْ الْأَرْضَ بِيَدَيْهَا فِي سِيرِهَا، وَهِيَ عَاجِنٌ. وَعَجَنَ الرَّجُلُ إِذَا نَهَضَ مَعْتَمِدًا بِيَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكِبَرِ. وَعَجَنَتِ النَّاقَةُ بِكَسْرِ (الجيم) إِذَا سَمِنَتْ)⁽²⁵⁾. وقد ورد في قول الشاعر⁽²⁶⁾:

يَكْفِيكَ مِنْ سَوْدَاءَ وَاعْتَجَانِهَا وَكَرَّكَ الطَّرْفَ إِلَى بَنَانِهَا

وَعَجَنَ وَأَعْجَنَ إِذَا أَسَنَّ؛ فَلَمْ يَقُمْ إِلَّا عَاجِنًا. قال الشاعر⁽²⁷⁾:

رَأْتَنِي كَأَشْلَاءَ اللَّجَامِ، وَبَعْلُهَا مِنْ الْمَلَأِ أَبْزَى عَاجِنٌ مُتَبَاطِنُ

وقد ورد في حديث الإمام (عليه السلام) - موضوع البحث - بمعنى أنه معجون استعارة؛ لتبيين أن الإنسان قد عجن عند خلقه مثلما تعجن المرأة العجين؛ فهو مخلوط من مواد مختلفة ((معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشياء المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاق المتباينة، من الحر والبرد، والبلى، والجمود، والمساءة، والسرور))⁽²⁸⁾.

لقد استعار (عليه السلام) اسم المفعول من عَجَنَ المرأة للطحين لأن آدم (عليه السلام) إنما خلق بيد الله تعالى مجموعاً من مواد مختلفة من أكوان مختلفة، أو أشياء متباينة، وأخلاق متباينة. وهذا ما يتحصل للمرأة وهي تلوي العجين، وتعجنه، وتجمعه من أجزاء مختلفة.

وهنا إشارة إلى أن الإنسان قد عجن مواد مختلفة، وأشياء متباينة، وأموراً متعددة إذ جعله الخالق عز وجل ((مركباً من شحم أبيض، ولحم أحمر، وشعر أسود، وعظام قاسية، ومواد رخوة، كما جعله مركباً من

أُمُورٌ مُؤْتَلَفَةٌ مُتَقَفَةٌ يَنْسَجُمُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ، وَتَلْتَقِي فِي وَحْدَةٍ مُتَكَامِلَةٍ كَالْأَسْنَانِ وَالْعِظَامِ، وَالْجِلْدِ وَاللَحْمِ، وَكَمَا جَعَلَهُ مَجْمَعًا لِلْأُمُورِ الْمُتَضَادَّةِ الْمُتَعَادِيَةِ؛ فَجَعَلَ فِيهِ الْحَرَارَةَ وَالْبُرُودَةَ فَدَاخِلُهُ حَارٌّ، وَخَارِجُهُ بَارِدٌ⁽²⁹⁾، وَجَعَلَهُ مَعْجُونًا مِنَ الطَّبَائِعِ، وَالْغَرَائِزِ، وَالْأَمْزِجَةِ الْمُخْتَلَفَةِ. كُلُّ تِلْكَ مَخْلُوطَةٌ فِي نَشْأَةِ الْإِنْسَانِ. وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ تَدُلُّ عَلَى مَنْزِلَةِ الْمُسْتَخْلَفِ وَعَظَمَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِذَا أَوْصَاهُ بِالشُّكْرِ لَهُ إِذْ خَاطَبَهُ مُرَارًا بِتَسْبِيحِهِ، وَبِالشُّكْرِ لَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ: (سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الحديد/1]، وَبِقَوْلِهِ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا مَرَرْتُمْ بِهِ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّكُمْ تَعْبُدُونَهُ) [البقرة/172].

سَابِقًا/ مَهَّدَ. الْمَهْدُ الْمَوْضِعُ يُهَيَّأُ لِنِيَامٍ فِيهِ الصَّبِيُّ. وَالْمِهَادُ اسْمُ أَجْمَعٍ مِنَ الْمَهْدِ كَالْأَرْضِ جَعَلَهَا اللَّهُ مِهَادًا لِلْعِبَادِ. وَجَمْعُ الْمِهَادِ مُهَدٌّ وَمِهْدٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِ يَهْدُونَ) [الروم/44] أَيْ يُوْطِنُونَ. يُقَالُ: (مَهَّدْتُ لِنَفْسِي، وَمَهَّدْتُ أَيْ جَعَلْتُ لَهَا مَكَانًا وَطِينًا سَهْلًا). وَيُقَالُ: (مَهَّدْتُ لِنَفْسِي خَيْرًا أَيْ هَيَّأْتُ، وَوُطِّئْتُه)⁽³⁰⁾، مِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ⁽³¹⁾:

وَأَمْتَهَدَ الْغَارِبُ فَعَلَ الدَّمَلِ

وَالْمَهْدُ وَالْمِهَادُ الْمَكَانُ الْمُمَهَّدُ الْمُوْطَأُ. قَالَ تَعَالَى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّى لَكُمُ فِيهَا سَبِيلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَشْجَارًا مِنْ أَنْبَاطٍ مُنْتَشِينَ) [طه/53]. وَقَدْ اسْتَعَارَ الْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هَذَا الْفِعْلَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْحَرَكَةِ، أَوْ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَنَامُ فِيهِ الْوَلَدُ، أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّسْوِيَةِ؛ فَقَوْلُنَا: (مَهَّدْتُ الْأَرْضَ أَيْ سَوَّيْتُهَا). إِنَّ الْفِعْلَ (مَهَّدَ) يَحْمِلُ دَلَالَاتٍ مُخْتَلِفَةً فِي النَّصِّ؛ فَهُوَ إِمَّا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْأَرْضَ مُسْتَوِيَةً لِبَنِي آدَمَ لِيَسْتَطِيعُوا الْمَشْيَ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مَعَايِشَ إِذْ قَالَ تَعَالَى: (وَالْأَرْضَ فَرَشْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) [الذاريات/48]، أَوْ ((إِشَارَةٌ إِلَى حَرَكَةِ الْأَرْضِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمَهْدِ السَّاكِنِ لَيْسَ بِمَهْدٍ؛ فَالْجَهَةُ الْأُولَى دَلَّتْ عَلَى فَاعِلِيَّتِهِ، وَالثَّانِيَةُ عَلَى كَوْنِ الْأَرْضِ مُتَحَرِّكَةً كَالْمَهْدِ. وَإِنَّمَا شُبِّهَتْ بِهِ لَكَوْنِ حَرَكَةِ الْمَهْدِ مُلَائِمَةً لَطَبْعِ مَنْ فِيهِ، وَلَا تَضُرُّ بِهِ وَإِنْ كَانَتْ سَرِيعَةً، بَلْ لَا يَحْسُ وَلَا يَدْرِكُ سُرْعَةَ الْحَرَكَةِ. وَهَكَذَا نَحْنُ لَا نَحْسُ وَلَا نَدْرِكُ سُرْعَةَ حَرَكَةِ الْأَرْضِ))⁽³²⁾.

فَنَحْنُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى لَا نَحْسُ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ؛ لِأَنَّهَا كَالْمَهْدِ سَاكِنًا وَهَادِنًا يَحْفَظُ الْوَلَدَ، وَلَا يَحْسُ الْوَلَدُ بِحَرَكَتِهِ الَّتِي تُطْمِئِنُّهُ، أَوْ تُهْدِدُهُ، أَوْ تُشْعِرُهُ بِالْخَوْفِ إِنْ أَحْسَّ بِحَرَكَتِهِ. كَذَلِكَ نَحْنُ إِنْ شَعَرْنَا بِحَرَكَةِ الْأَرْضِ زُرِعَ فِي قُلُوبِنَا الرَّعْبُ الْمَثَلُ الْوَلَدِ.

ثَامِنًا/ اسْتَحْقَاقًا لِلْسَّخْطَةِ: اسْتَحْقَاقًا مُصَدَّرٌ مِنَ الْفِعْلِ (اسْتَحَقَّ). وَهِيَ مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مَكْتَفَى عَنْهُ هُوَ (اسْتَحَقَّ) اسْتَحْقَاقًا. وَالسَّخْطَةُ عَلَى زِنَةِ (فَعْلَةٍ) وَهِيَ صَيَغَةُ مَبَالِغَةٍ. وَفِي اللُّغَةِ (السَّخْطُ) ضِدُّ (الرِّضَا). وَالْفِعْلُ مِنْهُ (سَخِطَ - يَسْخِطُ). وَ(سَخِطَ الشَّيْءُ: كَرِهَهُ. وَ(سَخِطَ: غَضِبَ). وَ(أَسْخَطَهُ: أَغْضَبَهُ). وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) [التوبة/58]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (أَفَنْ تَتَّبِعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ يَأْتِي بِسَخْطٍ مِنَ اللَّهِ) [آل عمران/162].

وَقَدْ وَرَدَ اسْتِعْمَالُهُ فِي نَصِّ الْإِمَامِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - مَوْضُوعَ بَحْثِنَا هَذَا - بِمَعْنَى الْمُسْتَحَقِّ لِلْعُقُوبَةِ، أَوْ الْغَضَبِ الشَّدِيدِ الْمُنْزَلِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِحَسَبِ قَوْلِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّظَرَ اسْتَحْقَاقًا لِلْسَّخْطَةِ، وَاسْتِثْمَامًا لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازًا لِلْعِدَّةِ؛ فَقَالَ: (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) [الحجر/37-38].

فبعد رفض إبليس السجود لذلك المخلوق العظيم الذي استخلفه الله تعالى في أرضه استحق غضب الله تعالى وعقابه. ولما علم إبليس أنه وصل إلى تلك النهاية المحتومة المخزية، وأنه لا خلاص له من العقاب الذي سينزل عليه من الله بسبب تمرده هذا، وعدم انصياعه لأمر الله تعالى وهو السجود لآدم امتثالاً للأمر الإلهي من جهة، وتكريماً واحتراماً لهذا المخلوق العظيم من جهة أخرى؛ طلب من الله المهلة ليؤخر عذابه؛ ((فأعطاه الله تعالى النظر)). وهذه النظرة هي عقوبة له في الحياة الدنيا قبل الآخرة، لا رحمة؛ لأن من يزيد الله تعالى في عمره وهو عابث في غيّه، وعصيانه، وكفره، خلافاً لطاعة الله تعالى فإنه سيحصل عقوبة مضاعفة متجددة. لذا تكون هذه النظرة عقوبة له.

والسخط حالة تستلزم وجود من يسخط عليه، أو من تقع عليه العقوبة يستحقها وهو إبليس في هذا الموقف إذ ((استكبر وكان من العاوين))، فرفض أمر السجود. ولما ترتب عليه من فعل الرفض لأمر الله تعالى، واستكباره عن السجود امتثالاً استحق فعل السخط من العذاب الشديد و((حسن إطلاق لفظ السخط))، واستحقاقها وأنه إنما أنظر لأجلها. وهو ترشيح للاستعارة))⁽³³⁾.

ولفظ (البليّة) في قوله (عليه السلام): ((واستتماماً للبليّة)) مأخوذ من (بلا). يقال: ((ناقة بلو سفر قد بلاها السفر. وكذلك الرجل والبعير. والجمع أبلاء))⁽³⁴⁾. والبليّة والبلاء واحد. والجمع البلياء. صرّفوا (فعائل) إلى (فعالي).

والبليّة الناقة التي تعقل في الجاهلية عند قبر صاحبها؛ فلا تلغ ولا تسقى حتى تموت، أو تحفر لها حفرة، وتترك فيها إلى أن تموت؛ لأنهم كانوا يزعمون أن الناس يحشرون ركبناً على البلياء مشاة إذا لم تعكس مطاياهم على قبورهم⁽³⁵⁾. قال الطرمّاح⁽³⁶⁾:

منازل لا ترى الأنصاب فيها ولا حفر المبلّي للمنون

و(بلاه -يلوه -بلوا) إذا ابتلاه الله ببلاء. ويقال: أبلاه الله يبلّيه إبلاء حسناً إذا صنع به صنيعاً جميلاً. وبلوته بلواً: جرّبه واختبرته. وقولهم: أبليت الثوب، قول العجاج⁽³⁷⁾:

والمرء يبلّيه بلاء السربال كرى الليالي واختلاف الأحوال

إذا؛ سياق لفظ البليّة في النصّ يشير إلى معاني مختلفة، فهو إما أنه استعار لفظ البليّة من (عقل الناقة على قبر صاحبها)، أي عقل الله تعالى إبليس في الدنيا ليرى المزيد من أفعاله، وماذا يفعل لبنى آدم من أجل أن يعذبه أشدّ العذاب. فهذا العقل يوحى بدالنتين فرعيتين هما:

- 1- عقله في الدنيا بلاء له، واستكمالاً لعذابه.
- 2- إن العقل بنفسه بلاء له؛ فلهذا جعل هذا العمر الطويل مصاحباً لبنى البشر من أجل أن يزيد من عذابه كما الناقة تعقل على القبر من دون غداء، ولا ماء؛ فتموت وهي معقولة. فذلك إبليس يعذب من العقل، وكذلك يزيد عذابه.

ويمكن حمل (البليّة) على البلاء والعذاب؛ فالله تعالى أعطاه العمر، والنظر من أجل تعذيبه بالآخرة، وجعله يحوز على أكثر أفعال سوء لسوقه إلى عذابه الشديد.

وربما أشار بلفظ (البليّة) إلى الاختبار، أو الامتحان، وأن الله تعالى أعطاه النظر من أجل أن يمتحنه، ويرى ماذا يفعل في هذه المهلة التي طلبها. والله عليم، لكن ليريه ما يفعل من أجل تعذيبه بما يفعل.

تاسعاً/ أولَ جِبِلَّتِهِ: (جِبَلٌ) في اللغة من قولهم: (جَبَلَهُ اللهُ) أي (خَلَقَهُ). و (جِبَلُ القَوْمِ) أيضاً أي (صاروا إلى الجبل). و (الجِبَلَةُ) بكسر (الجيم) الخَلْقَةُ. ويقال للرجل إذا كان غليظاً: (إنه لَذُو جِبِلَّةٍ). ومنه قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفْعَلُونَ) [يس/62] أي جماعة تشبهاً بالجبل في العِظَم. والجِبَلُ: المَجْبُولُ على حاله. قال تعالى: (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأَوَّلِينَ) [الشعراء/184] أي المَجْبُولِينَ على أحوالهم التي بُنُوا عليها، وسُبِّلهم التي قِيضُوا لسلوكها. وامرأة مِجَال: غليظة الخلق. ويقال للرجل: إنه لَذُو جِبِلَّةٍ⁽³⁸⁾. قال الأعشى⁽³⁹⁾:

وَطَالَ السَّنَامُ عَلَى جِبِلَّةٍ كَخَلْقَاءَ مِنْ هَضْبَاتِ الدَّجَنِ
وقال قيسُ بنُ الخطيم⁽⁴⁰⁾:

بين سُكُولِ النَّسَاءِ خَلِقَتْهَا قَصْدٌ فَلَا جِبِلَّةٌ وَلَا قَصْفٌ

وقد ورد بمعنى التركيب والخَلْقَةِ في حديث الإمام (عليه السلام) نصَّ الدراسة هذه بقوله: ((فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ (عليه السلام) خَيْرَةَ مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيهَا نَهَاءَهُ))⁽⁴¹⁾.

فالنصُّ يُخْبِرُ أَنَّ أَوَّلَ جِبِلَّةٍ إِنْسَانِيَّةٍ قَدْ رُكِّبَتْ مَا وَثَقَهُ الإِمَامُ عَلِيٌّ (عليه السلام) مِنْ ذِكْرِ تَنَوُّعِ التَّرْبَةِ المَخْلُوقِ مِنْهَا الْإِنْسَانُ (آدَمُ/ عليه السلام)، وَمَا جَرَى عَلَيْهَا مِنْ تَكْوِينٍ، وَإِحْيَاءٍ. فَهُوَ أَوَّلُ مَا خُلِقَ مِنَ الْبَشَرِ - وَهُوَ أَبُوهُمْ - مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ حَتَّى صَارَ إِنْسَانًا مُتَكَامِلًا مُنْحَ أَطْبَاعَ مَا جَبَلٍ مِنْهُ بِتَوْثِيقِ قَوْلِهِ (عليه السلام) فِي الْخُطْبَةِ الْأُولَى: ((مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلَفَةِ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلَفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ)) إِذْ أَشَارَ إِلَى طِبَائِعِهِ الْمُخْتَلَفَةِ؛ فَأَوَّلُ مَا رُكِّبَهُ وَهَذِهِ الطَّبَائِعُ، ثُمَّ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى بَقِيَّةَ بَنِي جِنْسِهِ مِنْ جِبِلَّتِهِ نَفْسِهَا بِمِصْدَاقِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ مَرْقِبًا) [النساء/1].

عاشراً/ أَرْغَدَ: الرَّغْدُ - فِي اللُّغَةِ - طَيِّبُ الْعِيشِ، أَيْ الْوَاسِعُ. وَ(قَدْ أَرْغَدَ الْقَوْمُ إِذَا أَخْصَبُوا). وَ(أَرْغَدَ الرَّجُلُ مَا شِئْتَهُ إِذَا تَرَكَهَا وَسَوَّمَهَا)⁽⁴²⁾.

وقد ورد بمعنى العيش الواسع في قوليه (عليه السلام): ((ثُمَّ أُسْكِنَ سَبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا عِيشَتَهُ، وَأَمِنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ))⁽⁴³⁾، وَ((أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيهَا نَهَاءَهُ))⁽⁴⁴⁾.
النَّصَانُ يُشِيرَانِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَسَّعَ لآدَمَ (عليه السلام) الرِّزْقَ، وَطَيَّبَ لَهُ الْعِيشَ فِي جَنَّتِهِ، وَأَعْطَاهُ الْحَرِيَّةَ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ، وَمَا لَذَّ وَطَابَ مِنَ الْأَكْلِ، مُنْبَهًا إِيَّاهُ ضَرُورَةَ الْإِبْتِعَادِ عَنْ نَوْعٍ مِنَ الْأَكْلِ، إِلَّا أَنَّ الْمَكِيدَةَ الشَّيْطَانِيَّةَ مِنْ إِبْلِيسَ سَبَبَتْ لَهُ ابْتِلَاءً جَدِيدًا أَبْعَدَهُ عَنْ هَذِهِ الْجَنَّةِ بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنَ الْقِصَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) [البقرة/35].

حادي عشر/ أَوْعَزَ: أَوْعَزْتُ إِلَيْهِ فِي كَذَا إِذَا تَقَدَّمْتُ. وَكَذَلِكَ (وَعَزْتُ إِلَيْهِ تَوْعِيزًا، وَأَوْعَزْتُ إِذَا تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ فَأَمَرْتُهُ بِهِ)⁽⁴⁵⁾. وَقد تستعمل بمعنى (أشار إليه).

وقد وردت في قوله (عليه السلام): ((وجعلناه أول جبلته، وأسكنه جنته، وأرغد فيها أكله، وأوعز إليه فيما نهاه عنه))⁽⁴⁶⁾. ومثلها في قوله (عليه السلام): ((فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها))⁽⁴⁷⁾.

مما مرَّ يتحصل لنا أنَّ كلمة (أوعز) تدلُّ على أنَّ الله تعالى عندما أسكن آدم (عليه السلام) جنته، ووسَّع عليه في رزقه أشار إليه فيما نهاه عنه. وهذه الإشارة هي إلى المحذَّر منه أنَّ يؤكَّل مما كان سبباً في إخراجِه منها، وحرمانه من سعة ذلك الرزق الذي رزقه أول خلقه وإقامته إنساناً. والنهيُّ المشارُ إليه ليس لداعي التحريم، وإنما لداعي التنزيه له؛ فقولنا: (أوعزت إليه بعدم الأكل) أي (أشرت إليه كي أنزَّهه من الأكل الذي يؤذيه). وهذا ما تجلَّى في قوله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) [البقرة/35]؛ فالنهيُّ في هذه الآية هو نهْيُ تنزيهٍ له، لا تحريمٍ عليه. والله أعلم.

خاتمة البحث ونتائجه:

في ختام غذاء الفكر من هذا البحث في النصِّ العلويِّ الرائد بعد القرآن الكريم، والحديث الشريف يعرضُ الباحثان ما عنَّ لهما من نتائج تستدعي التوثيق إجمالاً بالآتي:

- 1- نهجُ البلاغة سفرٌ يفصلُ عن القرآن الكريم ما أجمل فيه بهديهِ، وبهذي الحديث الشريف. وهذا ما حصلنا عليه من تحليلِ نصوصِ خلقِ آدم (عليه السلام) وتكوينه.
- 2- تراكيبُ الخلقِ والتكوينِ التي تتعلقُ بآدم (عليه السلام) وردت بمعنى الورودِ القرآنيِّ لفظاً ودلالةً.
- 3- صحح الإمام عليٌّ بنصوصِ الخلقِ والتكوينِ لآدم (عليه السلام) الأغلاطِ، والأوهامِ المتصورة لدى بعضهم من قراءةِ معصيةِ آدم (عليه السلام).
- 4- لفظُ الخلقِ يُقاربُ معناه اللغويُّ معناه الاصطلاحيُّ في سياقِ النصِّ البلاغيِّ.
- 5- لفظُ التكوينِ من مرادفاتِ لفظِ الخلقِ. وهو يُقاربُ - في مدلوله اللغويِّ - مادةَ (خلق) إذ إنه يدلُّ على إحداثِ الشيء وتكوينه.
- 6- ثمة اهتمامٌ عند مدوني اللغة بطبيعة الخلق. وربما يعود هذا الاهتمامُ إلى الهاجسِ الديني الذي يكمنُ في الخلقِ والتكوينِ، وفي التصوراتِ الشفاهيةِ والميثولوجيةِ التي عمَّقت هذا الشعور؛ ولهذا تناولته الكثيرُ منهم بالدراسة، إلَّا أنَّ ورودَه في نهجِ البلاغة قد أخذ طابعَ التفكيرِ والتبصرِ والحجاجِ الدينيِّ؛ لإقناعِ المتلقي بعظمةِ الخالقِ، أي أخذ طابعَ الردِّ على مَنْ تشكَّك في طبيعةِ الخلقِ، أو حاول أن يصلَ إلى كُنْهِ الخلقِ، وحدِّ الخلقِ والتكوينِ. وهذا ما نلحظه في خطبةِ الأشباح.

الهوامش

- (1) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم 1:244.
- (2) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس 557.
- (3) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين البغدادي 4:197.
- (4) في ظلال القرآن، سيد قطب 6:3387.
- (5) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد 5:9. ويُنظر: نهج البلاغة، محمد عبده 27.
- (6) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد 1:3. ويُنظر: بهج الصباغة 1:594.
- (7) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي 2:35.
- (8) شرح نهج البلاغة، البحراني 110.
- (9) ينظر: العين 1:161، وتهذيب اللغة 4:365، ولسان العرب 112.
- (10) ينظر: الصحاح 5:2141، وتاج العروس 35:229.
- (11) نهج البلاغة، محمد عبده 27.
- (12) منهاج البراعة 10:72.
- (13) ينظر: العين 4:277، والصحاح 1:434، والمحكم والمحيط الأعظم 5:218، ومعجم مقاييس اللغة 1002، والنهاية في غريب الحديث والأثر 930، ومفردات ألفاظ القرآن 816، ولسان العرب 343.
- (14) ينظر: البيت بلا نسبة في الصحاح 1:433، ولسان العرب 3:63، والمعجم المفصل في شواهد العربية 3:377.
- (15) البيان 2:468.
- (16) ينظر: الديوان، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، ود. أحمد مطلوب (برواية ونُحُوا عن مدائنهم) 143، وتحقيق محمود الربيعي (برواية وأجلُّوا عن مدائنهم) 345، ورواية لسان العرب (ونُفُوا في مدائنهم) 3:63، والمنصف 1:24.
- (17) نهج البلاغة، محمد عبده 27.
- (18) أعلام نهج البلاغة 14.
- (19) الديباج الوضي 1:146.
- (20) ينظر: الصحاح 5:2120، ومعجم مقاييس اللغة 369.
- (21) ديوان أوس بن حجر 35.
- (22) نهج البلاغة، محمد عبده 27.
- (23) ينظر: الصحاح 2:783، ومعجم مقاييس اللغة 796، والتبيان 2:214، ومفردات ألفاظ القرآن 643.
- (24) نهج البلاغة، محمد عبده 27.
- (25) ينظر: الصحاح 5:2161، والمحكم والمحيط الأعظم 1:200، ولسان العرب 13:277.
- (26) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم 1:200، ولسان العرب 13:277، وتاج العروس (عجن)، والمعجم المفصل في شواهد العربية 12:261.
- (27) ديوان كثير عزة 380، والمحكم والمحيط الأعظم 1:200، ولسان العرب 13:277.
- (28) منهاج البراعة، حبيب الله الهاشمي 2:33.

- (29) نهج البلاغة، الموسوي 1: 38-39.
- (30) ينظر: العين 4: 31-32، والصاح 2: 541، وتهذيب اللغة 6: 229، والمحكم والمحيط الأعظم 4: 275، والأفعال 4: 178.
- (31) ديوان أبي النجم 312.
- (32) مفتاح السعادة 8: 235.
- (33) شرح نهج البلاغة، البحراني 122.
- (34) لسان العرب 14: 84 (بلا).
- (35) ينظر: العين 8: 390، والصاح 6: 2384، وتهذيب اللغة 15: 390، ولسان العرب 14: 85.
- (36) ديوانه الطرماح 284.
- (37) ينظر: ديوان العجاج 2: 323، والمسلسل في غريب لغة العرب، التميمي 114، والألفاظ الكتابية، الهمداني 221، والمقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية 4: 2026، والمفصل في شواهد العربية 11: 284.
- (38) ينظر: الصاح 5: 1651، ومفردات ألفاظ القرآن 185-186، ومعاني القراءات، الأزهرى 2: 310، وحجة القراءات، ابن زنجلة 601-602.
- (39) ديوان الأعشى 19.
- (40) ديوان قيس بن الخطيم 103.
- (41) نهج البلاغة، محمد عبده 28.
- (42) ينظر: معجم مقاييس اللغة 392، والمنجد 269.
- (43) نهج البلاغة، محمد عبده 28.
- (44) المصدر نفسه.
- (45) ينظر: الصاح 3: 901، ومعجم مقاييس اللغة 1059.
- (46) نهج البلاغة، محمد عبده 28.
- (47) نهج البلاغة، الشيخ فارس الحسون 613.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- 1- أعلام نهج البلاغة، علي بن ناصر السرخسي، تح: الشيخ عزيز الله العطاردي، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1، دار عطار - طهران/ ١٤١٥هـ.
- 2- الأفعال، سعيد بن محمد المعافري السرقسطي أبو عثمان ابن الحداد، تح: حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1395 - 1975م.
- 3- الألفاظ الكتابية، عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني، تح: إميل بديع يعقوب، 1411 - 1991م.
- 4- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد تقي التستري، تح: مؤسسة نهج البلاغة، دار أمير كبير للنشر، ط1، ١٩٩٧م.

- 5- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: د. عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة / 1418هـ - 1998م.
- 6- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت1205هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- 7- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي أبو منصور (ت370هـ)، تح: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ 2001م.
- 8- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيب بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية بدار هجر. (د.ت).
- 9- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تح: الحافظ محمد صديق الجزائري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/ 2005.
- 10- جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلايني، راجعه: د. عبد المنعم خفاجة، ط30، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت/ 1994.
- 11- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشاركه الأستاذ محمد رضوان عرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت/ 2006.
- 12- الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي شرح نهج البلاغة، المؤيد بالله أبو الحسن يحيى بن حمزة بن علي الحسيني، تح: خالد بن قاسم بن محمد المتوكل، إشراف: عبد السلام بن عباس الوجيه، ط1، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، 2003م.
- 13- ديوان أبي النجم العجلي الفضل بن قدامة (ت130هـ)، تح: د. محمد أديب عبد الواحد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق/ 1427 هـ - 2006 م.
- 14- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تح: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز/ القاهرة، ب.ت، ب.ط.
- 15- ديوان الطرماح بن حكيم بن الحكم (ت125هـ)، تح: د. عزة حسن، ط2، دار (الشرق العربي، بيروت - لبنان/ 1414هـ - 1994م.
- 16- ديوان العجاج (رواية الأصمعي)، تح: د. عزة حسن، دار الشرق العربي/ 1416هـ - 1995م.
- 17- ديوان أوس بن حجر، شرح: د. محمد يوسف نجم، ط3، دار صادر، 1399هـ - 1979م.
- 18- ديوان قيس بن الخطيم، تح: د. إبراهيم السامرائي ود. أحمد مطلوب، ط1، مطبعة العاني- بغداد/ 1381هـ - 1962م.
- 19- ديوان كثير عزة، المؤلف عزة بن عبد الرحمن بن الاسود بن مليح من خزاعة (40 - 105هـ/ 660-733م).
- 20- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت1270هـ)، تح: علي عبدالباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/ 1415هـ.
- 21- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت655هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1387هـ/ 1967م.

- 22- شرح نهج البلاغة، العلامة كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ط1، منشورات دار الثقليين للطباعة والنشر والتوزيع/ 1999م.
- 23- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت/ 1407هـ-1987م.
- 24- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت170هـ)، تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- 25- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت1385هـ)، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ب. ط.
- 26- لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي الخازن، طبعة حسن الكنبي، محمد الحلبي.
- 27- لسان العرب المؤلف، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت711هـ)، ط3، دار صادر- بيروت/ 1414هـ.
- 28- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت458هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/ 1421هـ - 2000م.
- 29- المسلسل في غريب لغة العرب، أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي (ت538هـ).
- 30- معاني القراءات، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت370هـ)، تح: عيد مصطفى درويش وعوض بن حمد القوزي/ 1412هـ - 1991م.
- 31- المعجم المفصل في شواهد العربية، د. إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية/ 1417هـ - 1996م.
- 32- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت395هـ)، تح: د. عبد السلام محمد هارون، دار الفكر/ 1399هـ - 1979م.
- 33- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، السيد محمد تقي النقوي، منشورات قائن، ب. ت. ب. ط.
- 34- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم والدار الشامية، دمشق- بيروت/ 1412هـ.
- 35- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ(شرح الشواهد الكبرى)، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت855هـ)، تح: أ.د. علي محمد فاخر وأ.د. أحمد محمد توفيق السوداني ود. عبد العزيز محمد فاخر، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة/ 1431هـ.
- 36- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تح: علي عاشور/ ١٤٢٤هـ.
- 37- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (ت606هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت/ 1399هـ - 1979م.
- 38- نهج البلاغة، الأستاذ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- 39- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ت68هـ) جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان.